الفصل الحادي عشر

عقيدة التثليث: تعريفها وتطورها التاريخي

لقد حاولنا أن نقدم التعليم الكتابي الصحيح بمعزل عن التقاليد البشرية. غير أننا لا نستطيع أن نناقش موضوع الألوهية دون أن نصف التطور التاريخي للنظرية الأكثر قبولاً في العالم المسيحي، ألا وهي عقيدة الثالوث. ومن ثم فإننا سوف نقوم في هذا الفصل بتعريف عقيدة التثليث، وسنقتفي أثر تطورها التاريخي بإيجاز، كما سنناقش بعض الأمور الغامضة التي تكتنفها، والمشكلات المتعلقة بها. وفي الفصل الثاني عشر سوف نتوصل إلى بعض النتائج عن التثليث، عندما نقارن هذا المُعتقد مع تعاليم الكتاب المقدس، وسنكشف بعض المشكلات الخطيرة في هذه العقيدة في ضوء ما يقوله الكتاب المقدس، كما سنبرز الفرق بينها وبين عقيدة الوحدانية.

تعريف عقيدة الثالوث

التثليث (Trinitarianism) هو الاعتقاد بأن هناك ثلاث أشخاص (أقانيم)+ في إله واحد. وقد تمت صياغة هذه العقيدة بطرق متنوعة، مثل "إله واحد في ثلاثة أشخاص.(١) و"ثلاثة أشخاص في جوهر واحد".(٢) وهذه العقيدة تؤمن بأن الله به ثلاثة تمايزات في الجوهر، وليس فقط في العمل أو النشاط الإلهي.(٣) والأسماء المُعطاة لهؤلاء الأشخاص الثلاثة هي الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس.

وكذلك تعتقد العقيدة التثليثية المُحافظة (الأرثوذكسية)، والتي تطورت عبر القرون، بأن هؤلاء الأشخاص الثلاثة متساوون في القوة والسلطان، وأنهم موجودون معاً منذ الأزل وإلى الأبد في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وأن كل واحدٍ منهم له نفس الطبيعة الإلهية كاملة.(٤) غير أن كل شخص (أقنوم) لديه

خاصية فريدة عند مقابلته مع الآخرين: فالأب غير مولود، والابن مولود، والروح القدس منبثق.(٥) وفي بعض الأحيان يقول الثالوثيون إن تفرد الأب يظهر في الخليقة، وتفرد الابن يظهر في الفداء، وتفرد الروح يظهر في التقديس. وهكذا فإن الثلاثة يتشاركون في كل عمل، مع تركيز متفاوت على وظائفهم.(٦) وحيث أن كل واحد منهم يشترك في عمل الآخرين، إذاً لا يوجد تمييز واضح على هذا الأساس.

يطلق الثالوثيون على هؤلاء الأشخاص (الأقانيم) لقب الثالوث trinity أو الله المثلث الاقانيم the triune God.

ويصف أحد العلماء الثالوثيين الثالوث كالآتي: "يجب أن نرى الثالوث ليس على أنه إله واحد في ثلاث إظهارات وليس كذلك باعتباره ثلاثة أشخاص متناسقين لديهم وظائف منفصلة، بل بالأحرى فإن الثالوث يشير إلى إله واحد في ثلاثة أشكال للوجود – آب وابن وروح، وكل واحد من هؤلاء يشترك في عمل الآخر.(٧) ويستخدم الثالوثيون باستمرار شكل المثلث الهندسي ليشرحوا معتقدهم. فالزوايا الثلاث تمثل أعضاء الثالوث الثلاثة، بينما يمثل المثلث ككل الله كالثالوث الكامل. وهكذا فإن الأب ليس هو الابن وليس هو الروح القدس. علاوة على ذلك، فإنه لا الأب ولا الابن ولا الروح القدس هو الله بصورة كاملة بدون الاثنين الآخرين. (انظر الفصل الثاني عشر للإطلاع على قائمة تتضمن المعتقدات الأساسية لعقيدة التثليث ومقارنتها بالعقائد الأساسية للوحدانية).

مشاكل في عقيدة التثليث Tritheism++

ينكر الثالوثيون المحافظون عقيدة التثلاثية، التي هي الاعتقاد بثلاثة آلهة. ولكن عندما يُسألون عن كيفية وجود ثلاثة أشخاص متمايزين في إلهٍ واحد، فإنهم يفسرون هذا على أن الثالوث هو سر لا تستطيع عقولنا البشرية المحدودة فهمه بشكلٍ كامل.(٨)

وحيث أن الثالوثيين يحاولون رفض مفهوم الآلهة الثلاثة، فهم عادةً ما يعارضون وصف الله بمصطلحات مثل ثلاث كائنات

++هي عقيدة اعتبرتها الكنيسة الثالوثية هرطقة، وهي تقوم على أساس أن الله ثلاثة كائنات وليس كائن واحد (المترجم).

أو ثلاث شخصيات أو ثلاثة أفراد. وقد قال أحد الثالوثيين "لا يوجد لاهوتي مسيحي بارز دافع عن وجود ثلاث كائنات واعية بذاتها في الله".(٩) ويرفض كاتب ثالوثي آخر فكرة أن الثالوث يتكون من ثلاثة أفراد، ولكنه ينتقد بشدة التأكيد المبالغ فيه على الوحدانية، الذي (بحسب زعمه) يقود نحو وجهة النظر اليهودية عن الله.(١٠)

هذا النفور من استخدام المصطلحات التي تقسم الله هو أمر جدير بالثناء، إلا أن كلمة شخص بالإنجليزية (person) هي نفسها تشير إلى تقسيم الله. و يعرف قاموس ويبستر (Webster) كلمة "شخص person" على أنه "فرد بشري" وأنه هو "الشخصية الفردية للكائن البشري".(١١)

وهذا ليس مجرد مراوغة وتلاعب بالألفاظ، حيث أنه عبر كل تاريخ عقيدة التثليث، فسر العديد من الثالوثين مفهوم الشخص عملياً، وحتى لاهوتياً، بأنه يعني ثلاثة كائنات. فعلى سبيل المثال، الكبدوكيون الثلاثة في القرن الرابع (غريغوريوس النصي Gregory of Nyssa، وغريغوريوس النيزيانسي Gregory of Nazianzus، و باسيليوس القيصري Basil of Caesarea) أكدوا جميعاً على ثُلاثية الثالوث لدرجة أنهم أكدوا أن الثالوث كان له ثلاثة شخصيات.(١٢) وقد قدم بوثيوس Boethius (حوالي ٤٨٠-حوالي ٥٢٤م) تعريفاً لكلمة "شخص" بأنه "جوهر فردي ذو طبيعة عاقلة".(١٣) ومنذ العصور الوسطي إلى الوقت الحالي كثيراً ما قدم الثالوثيون الثالوث في صورة ثلاثة رجال، أو في صورة رجلٍ كبير وشابٍ صغير وحمامة.

واليوم يوجد في الدوائر الثالوثية الخمسينية تصور للألوهية يدل صراحةً على الثُلاثِية. ويتجلى هذا من البيانات الثلاثة الآتية والتي ذكرها ثلاثة من الثالوثين الخمسينيين – الأول مفسر شهير للكتاب المقدس، والثاني مبشرٍ شهير، والثالث مؤلف.

"ما نعنيه بالثالوث الإلهي هو أن هناك ثلاثة أشخاص منفصلون ومتمايزون في الله، وكل شخصٍ منهم لديه جسمه الروحي الخاص، ونفسه الخاصة، وروحه الخاصة به بنفس الكيفية التي يكون عليها كل كائن

بشري أو أي ملاك أو أي كائن آخر له جسمه الخاص به، ونفسه، وروحه... وهكذا فهناك ثلاثة أشخاص منفصلين في الفردانية الإلهية وفي التعددية الإلهية... وتستخدم كلمة "الله God" كمفرد أو كجمع، مثل كلمة "خروف أو غنم sheep".(١٤)

"وهكذا فإن هناك ثلاثة أشخاص منفصلين في الفردانية الإلهية وفي التعددية الإلهية... ويدعى كل شخص بشكلٍ فردي "الله"، وبشكلٍ جامع يتم التحدث عنهم كإلهٍ واحد بسبب وحدانيتهم الكاملة... وكل شيء يتصل بالله كثالوث يمكن أن يطبق بشكل متساوٍ على كل عضوٍ من أشخاص الله كأفراد. غير أن هناك بعض الخصوصيات ترتبط بكل شخص إلهي مثل المكانة والخدمة والعمل الذي لا يمكن أن يُنسب إلي أي عضو آخر من الأشخاص الإلهية"(١٥)

أما الثالوثي الخمسيني الثالث، وهو المؤلف، فقد اقتبس تعريف كلمة "الشخص" من قاموس ويبستر "فرد مفرد" ثم قدَّم تعريفه الخاص، فقال "الشخص هو الذي لديه عقل وإحساس وإرادة." محاولاً بهذا تعديل الاستخدام الثالوثي لكلمة شخص person.

"عندما تُستخدم كلمة شخص في الإشارة إلى أي كائن مخلوق، فإنها تمثل فرداً منفصلاً تماماً عن جميع الأشخاص الآخرين، ولكن عندما تستخدم مع الأب والابن والروح القدس، فيجب أن تكون كلمة شخص هنا مشروطة لكي تستبعد مفهوم الوجود المنفصل، حيث أنه بينما الثلاثة أشخاص متمايزون، إلا أنهم غير منفصلين – أي أنهم إله واحد. غير أنه، مع هذا الشرط، فإن الشخص يبقى هو المصطلح الأقرب لفظاً من شكل الوجود الدائم فيما يتعلق بالألوهية".(١٦)

ومن الواضح أن العديد من الثالوثيين يفسرون معتقدهم الثالوثي بأنه يعني ثلاثة أشخاص أو ثلاثة كائنات أو ثلاثة عقول أو ثلاث إرادات أو ثلاثة أجسام لله. كما ينكرون أنهم يقصدون بكلمة شخص مجرد أشكال أو أدوار أو علاقات لله تجاه الإنسان. و بدلاً من ذلك فإنهم يدافعون عن ثالوث الجوهر الدائم بينما يقرون بأنه سر لا يمكن تفهمه. وهم يقلصون من مفهوم

وحدانية الله إلى مجرد الوحدة بين مجموعة من الأشخاص. وبتعريفهم هذا، فإنهم يحولون عقيدة التوحيد إلى شكل من أشكال تعدد الآلهة، هذا الشكل يختلف فقط عن تعدد الآلهة الوثني في أن هناك توافقاً تاماً ووحدة بين الآلهة. وبغض النظر عن إنكار الثالوثيين، فإن هذا المُعتقد يؤمن بتعددية الآلهة – أو بمعنى أدق ثُلاثِية الآلهة – وليس بالإله الواحد الذي يُعَلَم به الكتاب المقدس والذي تمسكت به اليهودية.

مشاكل في فكرة الخضوعية subordinationism

كذلك يرفض الثالوثيون أي شكل من أشكال الخضوع من شخص (أقنوم) لآخر في القوة أو الأبدية (الديمومة). إلا أنهم يقولون دائماً إن الله الأب هو رأس الثالوث، والله الابن مولود من الأب، والروح القدس منبثق من الأب أو الابن أو كلاهما. و مرة أخرى، فإنهم يشددون على أنه ليس هناك أي تناقض، حيث أنه بكل بساطة لا يمكن لعقولنا المحدودة أن تفهم كمال المعاني الموصوفة في تلك العلاقات.

غير أننا، خلال التاريخ، نجد أن الثالوثيين المشهورين قد فسروا معتقدهم بالطريقة التي تجعل يسوع المسيح خاضعاً أو أقل في المرتبة. وقد علم ترتليان أول مفسر بارز لعقيدة التثليث، أن الابن كان خاضعاً للأب، وأن الثالوث ليس أبدياً(١٧) كما علَّم أيضا أن الابن لم يوجد في البداية كشخص منفصل، ولكنه ولِد من الأب لكي ينجز عملية خلق العالم. علاوة على ذلك، فقد أعتقد ترتليان أن التمايز بين الأشخاص الإلهية (الأقانيم) سوف يُبطل في المستقبل. أما أوريجانوس، أول نصير عظيم للتثليث في الشرق، فرأى أيضا أن الابن خاضع للأب في الوجود، بل أنه أكد حتى أن الصلاة يجب أن توجه إلى الأب وحده.(١٨) وقد كان هذان الرجلان يقصدان ألوهية المسيح عندما استخدما مصطلح الابن. ومن ثم، يمكن القول إن التثليث بدأ كعقيدة تنادي بخضوع يسوع لله.

أما في الدوائر الثالوثية الحديثة، فهناك شكل من الخضوعية عندما يستخدم الثالوثيون محدودية المسيح البشرية ليثبتوا التمييز بين الله الأب و "الله الابن" بدلاً من التمييز ببساطة بين طبيعة المسيح الإلهية

(الأب) وطبيعته البشرية (الابن). فمثلاً، نلاحظ في استخدامهم لصلاة المسيح، أن لديهم معرفة ضئيلة وبرهان ضعيف في إثباتهم أن "الله الابن" مختلف عن "الله الأب". وحتى عندما يؤكدون على مساواة الابن والأب، فإنهم كثيراً ما ينكرون هذه المساواة بطريقة عملية ويعترفون بأنهم لا يفهمون حقاً ما تعنيه.

أما المؤمنون بالوحدانية فإنهم يقرون بأن الابن كان خاضعا للأب. غير أنهم لا يؤمنون بأن يسوع خاضع للأب بنفس المعنى الذي يؤمن به الثالوثيون. ولكنهم بالأحرى يقصدون أن يسوع في دوره البشري كالابن كان خاضعاً ومحدوداً، ولكن يسوع في دوره الإلهي كالأب لم يكن خاضعاً أو محدوداً. وبمعنى آخر، فإن الطبيعة البشرية ليسوع قد أُخضعت للطبيعة الإلهية له. ولكن، عندما يقوم الثالوثيون بفصل الأب والابن إلى أشخاص منفصلين، فإنهم بذلك ينكرون أن يسوع هو الأب، وبذلك فإنهم بالقطع يقللون من أهمية ألوهية يسوع الكاملة. وبالرغم من إنكارهم، إلا أن معتقدهم في الواقع، يجعل يسوع خاضعاً للأب وأقل منه شأناً في الألوهية.

مصطلحات غير كتابية

يوجد العديد من المشكلات بالنسبة للمصطلحات "الثالوثية"

فأولاً: الكتاب المقدس لم يستخدم كلمة ثالوث trinity على الإطلاق. وكذلك لم تظهر الكلمة ثلاثة three في إشارةٍ إلى الله في أي من ترجمات الكتاب المقدس ما عدا ترجمةKJV ، وقد استخدمت مرة واحدة فقط في تلك الترجمة – في العدد المشكوك فيه في (يوحنا الأولى ٥:٧). وحتى هذا المقطع يُقرأ " وهؤلاء الثلاثة هم واحد."

ثانياً: لم تظهر كلمة شخص person فيما يتعلق بالله، ماعدا مرتين في ترجمة KJV. الأولى في (أيوب ١٣:٨) في إشارة إلى إظهار المحاباة. والثانية في (عبرانيين ١:٣) التي تقول إن الابن هو بهاء مجد الله ورسم جوهره (يقصد الطبيعة أو الجوهر)، ولا يقصد بذلك أنه شخص ثاني.

لم يستخدم الكتاب المقدس مطلقاً الكلمة

الجمع "أشخاصا" persons ليصف الله. (الاستثناء الوحيد المحتمل هو) (أيوب١٣:١٠)، والذي سوف يدمر عقيدة التثليث لو تم تطبيقه على الله!

وباختصار، وكما يقر الكثير من المعلمين الثالوثيين، فإن الكتاب المقدس لم يعبر صراحةً عن عقيدة الثالوث. وتذكر الموسوعة الكاثوليكية الجديدة "أن ثمة اعترافاً من جانب المفسرين واللاهوتيين الكتابيين... بأن أحداً لم يتحدث عن التثليث في العهد الجديد دون أن يضع شروطاً حازمة... و الآن، صار مقبولاً أن تفسير العهد الجديد قد أظهر أن تطور مصطلح الثالوث لفظياً وكذلك أيضا التطور الذي حدث لأنماط التفكير الشخصي للبطاركة [آباء الكنيسة] والمجامع[مجامع الكنيسة] كانت كلها غريبة تماماً عن عقل وثقافة كُتَاب العهد الجديد".(١٩)

أما اللاهوتي الثالوثي البروتستانتي إميل برونر فقد أعلن قائلاً "غير أن عقيدة الثالوث نفسها، ليست عقيدة كتابية وهذه العقيدة لم تظهر بمحض الصدفة بل هي ضرورة. إذ إنها نتاج للتأملات اللاهوتية لهذه المشكلة... إن عقيدة الثالوث الكنسية ليست فقط نتاجاً للتفكير الكتابي الأصيل، بل أنها أيضا نتاج للتأمل والتَفَكُر الفلسفي، وذلك بمعزل عن تفكير الكتاب المقدس"(٢٠)

التطور التاريخي للتثليث

إذا لم يكن التثليث قد جاء من الكتاب المقدس، فمن أين نبع إذاً؟ مما لا شك فيه أن المسيحية الثالوثية قد تطورت عبر القرون العديدة التي أعقبت كتابة العهد الجديد. وبحسب ما جاء في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة، يعترف مؤرخو العقيدة واللاهوتيون النظاميون "أنه عندما يتحدث المرء عن الثالوثية غير المشروطة، فإنه يكون قد انتقل من فترة الأصول المسيحية المبكرة، إلى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي... ومما رأينا حتى هذه اللحظة، فإننا يمكن أن نلاحظ أن عقيدة التثليث كانت في شكلها الأخير ابتداءاً من الفترة الأخيرة من القرن الرابع. وهذا حقيقي بشكل أو بآخر، ولكنه ينطوي على تفسير شديد الحزم بالنسبة للكلمات المُفتاحية

[التثليث والعقيدة]... فقبل نهاية القرن الرابع لم تكن صيغة "إله واحد في ثلاثة أشخاص" قد تثبتت بقوة، وبالتأكيد لم تكن قد تم استيعابها بشكل كامل في داخل الحياة المسيحية، وفي إقرارات الإيمان. ولكن هذه الصيغة تحديداً هي التي احتوت أول مزاعم "عقيدة التثليث".(٢١)

سوف نقتفي باختصار أثر التطور التاريخي لهذه العقيدة في العالم المسيحي، ولكن دعنا أولاً نكشف عن بعض الجذور والموازيات الوثنية التي نجد ما يقابلها في عقيدة التثليث.

الجذور والموازيات الوثنية

يؤكد العالم الثالوثي ألكسندر هيسلوب Alexander Hislop أن البابليين قد عبدوا إلهاً واحداً في ثلاثة أشخاص وأنهم استخدموا المثلث المتساوي الأضلاع كرمز لهذا الثالوث. وفي كتابه، يعرض هيسلوب صوراً اُستُخدمت في أشور القديمة وفي سيبيريا لتُمثل الآلهة المُثلثة. كما وجد هيسلوب أيضا الأفكار الثالوثية في العبادة البابلية للأب، والأم، والابن، قائلاً إن الثالوث البابلي كان هو "الأب الأبدي، وروح الله متجسداً في الأم البشرية، والابن الإلهي، الذي هو ثمرة هذا التجسد".(٢٢)

ويصف المؤرخ ويل ديورانت Will Durant الثالوث في مصر القديمة. "رع وآمون، وإله أخر اسمه بتاح كانوا يؤلفون معاً ثلاثة أشكال أو ثلاثة تجسيدا لإله واحد أسمى وأرفع، إنه إله ثالوثي". كما كان لدى مصر ثالوث إلهي للأب، والأم، والابن، متمثلاً في أوزوريس وإيزيس وحورس(٢٣)

كذلك وجدت ثالوثات في ديانات وثنية أخرى هامة مثل الهندوسية، والبوذية، والطاوية. فقد كان لدى الهندوسية ثالوث متسام منذ القديم براهما الخالق، وشيفا المدمر، وفيشنو الحامي. وقد وصف أحد العلماء هذا المعتقد "براهمان – أتمان، الحقيقة النهائية غير الشخصانية تكتسب إظهاراً دينياً ثالوثياً هاماً أو لنقل ثلاثية إلهية [trimurti] من خلال ثلاثة أشخاص إلهية يمثلون على التوالي الوظائف الإلهية من خلق وتدمير وحماية".(٢٤) وأحياناً يتم تمثيل هذا الثالوث بتمثال لإله واحد له ثلاثة رؤوس.

وهناك ثالوث آخر في البوذية وهو ثالوث من المجموعات. فمدرسة الماهايانا البوذية (الشمالية) لديها عقيدة "الجسد الثلاثي" أو Trikaya.(٢٥) وطبقاً لهذا الاعتقاد فإن هناك ثلاثة أجساد لبوذا الحقيقي. الأول هو الحقيقة الكونية السرمدية، والثاني هو المظهر السماوي للأول، والثالث هو المظهر الأرضي للثاني. علاوة على ذلك، فإن العديد من البوذيين يعبدون تمثال بوذا ذا الثلاثة رؤوس.(٢٦)

أما الطاوية، الديانة السرية القديمة في الصين، فلديها ثالوث من الآلهة المتسامية – الإمبراطور الفَرَس، ولاو تسيو، ولينج باو – والذين يدعون الأطهار الثلاثة.(٢٧)

وقد ظهر الثالوث الفلسفي في فكر أفلاطون ثم صار شديد الأهمية في الأفلاطونية الجديدة.(٢٨) وبالطبع كان للفلسفة اليونانية، وخاصة الأفلاطونية وفكر الأفلاطونية الجديدة، تأثير هام على اللاهوت في الكنيسة القديمة. فعلى سبيل المثال، تنبع عقيدة "اللوجوس" الثالوثية من الفيلسوف الأفلاطوني الجديد فيلو. (انظر الفصل الرابع). ومن ثم، نستطيع أن نرى أن فكرة الثالوث لم تكن أصولها من المسيحية. وأنها كانت سمة هامة في الديانات الوثنية والفلسفات قبل العصر المسيحي، وأن وجودها اليوم في أشكال متعددة يساعدنا على رؤية الأصل الوثني القديم لها.

التطورات في العصر ما بعد الرسولي

يُعلَّم الكتاب المقدس عن عقيدة الثالوث، ولكن تنبع جذور التثليث من الوثنية. فكيف إذاً، وجدت تلك العقيدة الوثنية طريقها إلى العالم المسيحي؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال فقد اعتمدنا بشكل أساسي على أساتذة المعهد اللاهوتي اللوثري أوتو هيك Otto Heick، وأ. هـ. كلوتشه E. H. Klotsche، وأستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة ييل Yale رونالد بانتونRonald Bainton، والأستاذ الجامعي جون نوس John Noss، وكذلك الفيلسوف والمؤرخ المشهور ويل ديورانت Will Durant، وسنعتمد كذلك على موسوعة الدين والأخلاق.

لاحظنا في الفصل العاشر أن الآباء الأوائل في عصر ما بعد الرسل (٩٠-١٤٠م) لم يعتنقوا فكرة الثالوث. بل على العكس، فقد أكدوا على الوحدانية التي نادى بها العهد القديم، وأكدوا على ألوهية وبشرية المسيح. وكذلك أكد المدافعون++ اليونانيون (١٣٠-١٨٠م) أيضاً على وحدانية الله. غير أن البعض منها اتجه إلى التثليث.

هذا التوجه نحو التثليث بدأ بجعل اللوجوس Logos (الكلمة في يوحنا ١) شخصاً منفصلاً. واتبعوا في ذلك فكرة مستمدة من الفلسفة اليونانية، خاصةً في تعاليم فيلو، وبدأ بعض المدافعين اليونانيين ينظرون إلى الكلمة (اللوجوس) كشخص منفصل عن الأب. غير أن هذه العقيدة لم تكن هي التثليث، ولكنها شكل من أشكال الثنائية (أي الإيمان بوجود إلهين)، وهو الشكل الذي يؤمن بخضوع اللوجوس للأب. وبالنسبة لهم كان الأب وحده هو الإله الحقيقي و اللوجوس (الكلمة) كان مخلوقاً إلهياً من المرتبة الثانية. وفي النهاية، أصبح اللوجوس معادلاً للابن. وعلى ما يبدو، فإن صيغة المعمودية الثالوثية قد أصبحت ممارسة شائعة بين بعض الكنائس المسيحية، بالرغم من أن الإشارات القليلة المبكرة لها ربما لم ترد في (متى٢٨:١٩) أو حتى في الإضافات التي أضافها الناسخون اللاحقون. كما أنه خلال ذلك الوقت، استخدم مدافع مسيحي يدعى ثاوفيلس كلمة الثُلاثي(traid triados) ليصف الله. و لكن لعله لم يستخدمها ليصف ثالوث من الأشخاص بل أستخدمها ليشير إلى ثالوث أعمال الله.

إيريناوس (المتوفى في ٢٠٠م) كثيراً ما يُعد اللاهوتي الحقيقي الأول في ذلك الوقت(٢٩). وهو الذي أكد على ظهور الله في المسيح من أجل الفداء. وقد وصف بعض العلماء عقيدة إيريناوس بـ"الثالوث التدبيري." "economic trinitarianism". وقصدوا بهذا أن إيريناوس لم يؤمن بالثالوث الدائم أو بثالوث الجوهر ولكنه اعتقد فقط بثالوث مؤقت - من المحتمل أن يكون مجرد ثالوث أعمال

++ apologist هو المدافع عن الإيمان. وقد ظهر الكثير منهم في العصور المسيحية المبكرة، وكانوا يكتبون كتابات دفاعية تشرح الإيمان المسيحي وترد على انتقادات المختلفين معهم في العقيدة. (المترجم)

الله فقط. ويمكننا أن نرى أن إيريناوس، الذي لم يستخدم عقيدة الكلمة (اللوجوس) اليونانية، كان يوحد بين اللوجوس (الكلمة) وبين الأب. و كان لفكره اللاهوتي ثلاث سمات أساسية هي: التركيز بشدة على الكتاب المقدس، واحترام تقليد الرسل، والتركيز القوي على مركزية المسيح. ويبدو أن إيريناوس لم يكن ثالوثيا حقيقيا بل على أكثر تقدير كان رمزاً لمرحلة انتقالية.

وإيجازاً، فإنه في القرن الأول بعد الرسل، لم تكن عقيدة الثالوث قد تطورت. كما ظهر في بعض الدوائر شكل من الثنائية الخضوعية++ مبنية على أفكار الفلسفة اليونانية، وهي العقيدة التي تم شجبها في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا. (انظر الفصل الرابع). وتقول الموسوعة الكاثوليكية الجديدة عن الثالوثيين في هذا الوقت من تاريخ الكنيسة "بين الآباء الرسوليين، لم يكن هناك مجرد اقتراب ولو من بعيد لمثل هذه العقلية أو المنظور، وبين المدافعين عن الإيمان في القرن الثاني، كان هناك تزايد ضئيل في التركيز على مشكلة التعددية في إطار تفرد الله.... وفي آخر الأمر، كان إنجاز اللاهوتيين في القرن الثاني محدوداً....وأما الحل الثالوثي فهو لم يظهر إلا بعد ذلك في الفترة الزمنية اللاحقة".(٣٠)

ترتليان - أبو التثليث المسيحي

كان ترتليان (حوالي ١٥٠- حوالي ٢٢٥م) هو أول شخص سجله التاريخ يستخدم كلمات الثالوثtrinity (باللاتينية trinitas)، والجوهر (substance substantia)، وشخص أو أقنوم person (persona) فيما يتعلق بالله.(٣١) وكان أول من تحدث عن ثلاثة أشخاص (أقانيم) في جوهر واحد (باللاتينية una substantia et tres personae). وقد التزم ترتليان بالصيغة التدبيرية للثالوث. أي أنه اعتقد بأن الغرض من وجود الثالوث يكمن فقط في الإعلان عن الله، وبعد إتمام هذا الغرض فإن التمايز بين الأقانيم (أو الأشخاص الإلهية) سوف يُبطل. ومن

++ subordinationistic

ناحية أخرى، فقد اختلف ترتليان عن إيريناوس في أنه استخدم عقيدة اللوجوس (الكلمة) الخاصة بالمدافعين عن الإيمان من اليونانيين. وساوي اللوجوس بالابن. كما اعتقد بأن الأب أحضر اللوجوس لكي يخلق العالم، وأن اللوجوس كان خاضعاً للأب. ولم تمثل عقيدة الثالوث أي مشكلة بالنسبة لترتليان، حيث استند كل فكره اللاهوتي على فكرة أنه كلما كان موضوع الإيمان مستحيلاً وغير قابل للفهم، كلما كان أكيداً. وأشتهر ترتليان بعبارته "أنا أؤمن لأن ما أؤمن به مناف للعقل".

هناك بعض الجدل حول ما كان ترتليان يعنيه حقاً بما قدمه من صيغة ثالوثية، وخاصة استخدامه للكلمة اللاتينية Persona. وبحسب دليل المصطلحات اللاهوتية، فإن هذه الكلمة كانت تعني في القانون الروماني نوعاً من الكيان الشرعي أو الحزبي.(٣٢) وفي الدراما كانت هذه الكلمة تعني القناع الذي يلبسه الممثل، أو بمعنى أشمل، الدور الذي يلعبه الممثل. وكلا هذين الاستخدامين لا يشيران بالضرورة إلى المعنى الحديث لكلمة شخص Person باعتباره كائناً واعياً بذاته. فعلى سبيل المثال، يستطيع الممثل الواحد أن يلعب عدة أدوار (Personae) وكذلك يمكن لمؤسسة شرعية واحدة (Persona) أن تتكون من عدة أفراد. وعلى الجانب الآخر، وعلى ما يبدو فإن الكلمة Persona يمكن أن تشير أيضاً إلى الأفراد من البشر.

وفي القرن الرابع، كانت الكلمة اليونانية hypostasis تستخدم في الصيغة الرسمية لعقيدة التثليث. وطبقاً لما يقوله نوس Noss فإن كلمة hypostasis كانت كلمة مجردة تعني الوجود أو الظهور المميز. يقول نوس: عندما تمت ترجمة هذه الصيغة إلى اللاتينية، فإن الكلمة اليونانية المجردة التي تعني الظهور المميز أو الفردي أصبحت كلمة ملموسة وغير مجردة وهي persona، وبات يُطرَح لها معنى ضمني يشير إلى الانفصال والاكتفاء الذاتي على نحو لم يكن مقصوداً في التعبير اليوناني الأصلي.(٣٣) غير أن تلك الكلمة اللاتينية الملموسة كانت تحديداً هي الكلمة التي استخدمها ترتليان من قبل. وقد ذكر باحث آخر أنه في الوقت الذي تُرجِمَت فيه كلمة

(hypostasis) إلى كلمة (persona) كانت الكلمتان مترادفتين في الأساس، فكلتيهما كانت تعني "كائناً فردياً".(٣٤)

ومن الواضح أن العديد من الناس في عصر ترتليان قد عارضوا صيغته الجديدة. وهو بنفسه يعترف أن غالبية المؤمنين في أيامه رفضوا عقيدته بناءً على أساسين: إن قانون إيمانهم (إقرار إيمانهم الأقدم) قد حرَّم الإيمان بتعددية الآلهة، أما عقيدة ترتليان فتُقسّم وحدة الله(٣٥). كما أن معرفتنا بالمؤمنين الأوائل من الوحدانيين الشكلانيين، مثل نيوتس، وبراكسيس، تأتي من معارضتهما الشديدة لترتليان ومعارضته الشديدة لهما. لو كان ترتليان يقصد فقط بأن الله له ثلاثة أدوار، أو ثلاثة أقنعة، أو ثلاثة إظهارات، لما كان هناك صراع مع الشكلانيين (الوحدانيين)، وذلك تحديداً يرجع لكون ترتليان لم يؤمن بالثالوث الدائم eternal or immanent trinity. ومن ثم، نتوصل إلى أن ترتليان كان يقصد فعلاً وجود ثلاثة اختلافات جوهرية في الله وأن كلمة شخص أو أقنوم persona كانت بالفعل تحمل ضمنياً معنى أو تلمح إلى شخصية متمايزة، كما افترض العالم نوس. وعلى أية حال، فإنه من الواضح أن المؤمنين بالوحدانية في أيام ترتليان رأوا أن عقيدته تعارض بشدة عقيدتهم، والتي كانت هي العقيدة السائدة عند الأغلبية في ذلك الوقت.

وهناك ملاحظة أخيرة بشأن ترتليان. إذ أصبح ترتليان تابعاً لـ "مونتانوس"، وهو مهرطق قديم زعم أنه البراكليت (المعزي) الموعود به في الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا وأنه النبي الأخير قبل نهاية العالم. وأخيراً، فقد بدأ ترتليان في تشجيع العزوبية، وتحريم الزواج. وفي النهاية، تم حِرمانه كنسياً مع باقي أتباع المونتانية.

آخرون ممن أمنوا بالتثليث في الحقبة المبكرة

لقد قدم ترتليان مصطلح التثليث وأصبح أول مؤيد كبير له في الغرب، أما أوريجانوس Origen (توفي عام ٢٥٤م) فقد أصبح أول مؤيدٍ كبير له في الشرق(٣٦). وقد حاول أوريجانوس أن يمزج بين الفلسفة اليونانية والمسيحية في منظومة

معرفية عليا، وهذه المنظومة هي عادةً ما يصفها المؤرخون المسيحيون بـ "الغنوسية المسيحية" Christian Gnosticism. وقد قبل أوريجانوس عقيدة اللوجوس اليونانية (التي تعني أن اللوجوس شخص منفصل عن الأب)، ولكنه أضاف ملمحاً فريداً لم يطرحه أحد من قبله. وكان هذا الملمح هو عقيدة الابن الأبدي. إذ علَّم أوريجانوس أن الابن أو اللوجوس كان شخصاً مستقلاً مُنذ الأزل. وعلاوةً على ذلك، فقد قال إن الابن ولِد منذ الأزل وأنه يولد بشكل دائم وأبدي. كما أبقى علي خضوع الابن للأب في الكينونة أو الأصل، ولكنَّه اقترب من عقيدة المساواة co-equality التي ستظهر لاحقاً.

وكان لدى أوريجانوس العديد من العقائد الهرطوقية والتي ترجع إلى قبوله لعقائد من الفلسفة اليونانية، وتأكيده على المعرفة السرية بدلاً من الإيمان، وتفسيره المجازي المتطرف للكتاب المقدس. فمثلاً، آمن أوريجانوس بالوجود المسبق لأنفس البشر، وأنكر ضرورة عمل المسيح الفدائي، وآمن بالخلاص النهائي للأشرار بمن فيهم إبليس نفسه. وبسبب تلك المعتقدات، ومعتقدات هرطوقية أخرى، تم حرمان أوريجانوس كنسياً. كما لعنت مجامع الكنيسة العديد من عقائده رسمياً في عامي ٥٤٣ و٥٥٣م.

وهناك أيضاً هيبوليتوس Hippolytus ونوفاتيان Novatian وهما اثنان من أبرز المؤمنين بالتثليث في تاريخ الكنيسة المبكر. وقد كان هيبوليتوس هو المُعارِض الثالوثي لسابيليوس Sabellius. كما قاوم كاليستوس Callistus، أسقف روما، وتزعَّم مجموعة منشقة ضده. وبالرغم من هذا، أعلنته الكنيسة الكاثوليكية قديساً بها بعد ذلك.

كان نوفاتيان واحدا من أول المؤكدين بأن الروح القدس هو شخص إلهي ثالث. وقد علَّم عن خضوع الابن للأب، قائلاً بأن الابن كان شخصاً مستقلاً، ولكن له بداية وأنه جاء من الأب. وقد قام كورنيليوس Cornelius، أسقف روما، بحرمان نوفاتيان كنسياً بسبب اعتقاده بأن هناك عدداً من الخطايا الخطيرة لا يُمكن أن تُغتفر إذا تم ارتكابها بعد الاهتداء.

مجمع نيقية

مع نهاية القرن الثالث، حل التثليث محل الوحدانية (الشكلانية) كعقيدة آمن بها مـُعظم العالم المسيحي، على الرغم من أن النظريات الثالوثية الأولى لم تكن قد أخذت بعد الشكل الحديث للعقيدة الثالوثية كما هي في وقتنا الحاضر.

وأثناء الجزء الأول من القرن الرابع، كان الجدل الكبير حول طبيعة الله قد بلغ ذروته – وذلك بين تعاليم أثناسيوس وتعاليم آريوس. فقد أراد آريوس أن يحافظ على وحدانية الله ومع ذلك نادى بوجود شخصً مستقلً هو اللوجوس. ومثل الثالوثيين، فقد ساوى اللوجوس بالابن وبالمسيح. وعلم أن المسيح كائن مخلوق – وهو كائن إلهي ولكن ليس له نفس جوهر الأب كما أنه ليس مساوياً للأب. و بمعنى آخر، كان المسيح بالنسبة له نصف إله.

وفي الواقع، فقد علَم آريوس عن شكل جديد من تعددية الآلهة. وبالقطع لم يكن آريوس مؤمناً بالوحدانية، ولذلك فإن الحركة الوحدانية الحديثة ترفض بشدة أي شكل من أشكال الآريوسية.

وعلى النقيض من آريوس، فقد اعتقد أثناسيوس بأن الابن مساوي للأب، وأنه أبدي مثل الأب، وأن له جوهراً واحداً مع الأب. وهذه هي النظرية الحالية للتثليث الحديث. ومن ثم، فإنه بينما قدَّم ترتليان للعالم المسيحي العديد من المفاهيم والمصطلحات الثالوثية، إلا أنه يمكن اعتبار أثناسيوس الأب الحقيقي للتثليث الحديث.

وعندما بدأ الجدال بين آريوس وأثناسيوس في اكتساح الإمبراطورية الرومانية، قرر الإمبراطور قسطنطين التدخل في الأمر، حيث شعر بالحاجة إلى حماية وحدة العالم المسيحي من أجل رفاهية وسلامة الإمبراطورية. وكان قسطنطين قد اهتدى للتو إلى المسيحية ومن ثم جعلها ديانة مقبولة في الإمبراطورية. وبحسب التقليد فقد أتى اهتداء قسطنطين إلي المسيحية نتيجةً للرؤيا التي رآها قبل إحدى المعارك الحاسمة. فعلى ما يبدو، أنه رأى صليباً في السماء مع رسالة تقول: "في هذا علامة تنتصر." وبالفعل تحقق

ذلك وكسب المعركة، وأصبح شريكاً في الحكم الإمبراطوري في عام ٣١٢م ثم صار الإمبراطور الأوحد في عام ٣٢٤م. وعندما هدد الصراع بين آريوس وأثناسيوس بانقسام إمبراطورية قسطنطين والتي كان قد ربحها للتو، وكذا فقد هدد مخططه في استخدام المسيحية لدعم قوته السياسية والحفاظ على مكانته، دعا قسطنطين إلى عقد أول مجمع مسكوني للكنيسة، والذي عُقِد في نيقية عام ٣٢٥م.

لم يكن قسطنطين مثالاً حقيقياً للمسيحية. ففي عام ٣٢٦م قام بقتل ابنه، وابن أخته، وزوجته. كما أرجأ معموديته عن قصد حتى قبل موته بوقت قصير، معتقداً أنه بهذا سوف يتبرأ من جميع خطايا حياته. ويقول ويل ديورانت عنه "كانت المسيحية بالنسبة له مجرد وسيلة، وليست غاية... فبينما غيّرت المسيحية العالم، فقد غيّر العالم المسيحية وأظهر الوثنية الطبيعية في الجنس البشري".(٣٧)

ومع تثبيت المسيحية باعتبارها الديانة المفضلة للإمبراطورية الرومانية (وهذا أدى في النهاية إلى أن تصبح المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة)، فقد أفسد قسطنطين الكنيسة وعجَّل من قبولها للطقوس الوثنية والعقائد الهرطوقية. وكما يقول المؤرخ الكنسي والتر نيج Walter Nigg "بمجرد أن فتح قسطنطين بوابة السد اتى إلى الكنيسة طوفان من الناس نتيجة لأسباب انتهازية محضة، وصارت منظومة الأخلاق المسيحية في حالة سيئة من الغطرسة".(٣٨)

وعندما عُقد مجمع نيقية، لم يكن قسطنطين مهتماً بالوصول إلى أية نتيجة بعينها، كل ما كان يعنيه أن يصل المشاركون في المجمع إلى اتفاق. فبمجرد أن حدث هذا الاتفاق، أسرع قسطنطين بتأييد ذلك بكل ما أوتي من قوة.

"قسطنطين، الذي كان يتعامل مع المسائل الدينية من وجهة النظر السياسية فقط، أيد الإجماع على طرد جميع الأساقفة الذين لم يُقروا بقانون الإيمان الجديد. وبهذه الطريقة تحققت الوحدة. ولم يُسمع مطلقاً عن إقرار إيمان عالمي يؤسس بناءً على سلطة الإمبراطور فقط... كما لم ينبس أي أسقف ببنت شفة ضد هذا الأمر الرهيب"(٣٩).

وقد قسّم هايك Heick المشاركين في مجمع نيقية إلى ثلاث مجموعات: أقلية من الآريوسيين، وأقلية من أتباع أثناسيوس، وأغلبية من الذين لم يفهموا الصراع ولكنهم أرادوا أن يسود السلام.(٤٠) وفي النهاية تبنى مجمع نيقية إقرار إيمان ينتقد بشدة الآريوسية، ولكنه لم يقل سوى القليل بشأن التعليم الثالوثي الواضح. وقد بيّنت العبارة المفتاحية لقانون الإيمان هذا أن المسيح له نفس جوهر الآب (في اليونانية homoousios) وليس مجرد جوهر مماثل له (في اليونانية homoiousios). والأمر المثير للاهتمام أن الشكلانيين (المؤمنين بالوحدانية) كانوا في البداية يستخدمون كلمة homoousios للتعبير عن تطابق هوية يسوع مع الآب. والعديد من الذين أيدوا عن خطأ استخدام المصطلح اللاحق homoiousios لم يكن قصدهم حقاً أن يسوع مختلف عن الآب في الجوهر، ولكنهم أرادوا تجنب التضمينات الوحدانية التي ينطوي عليها ضمنياً المصطلح السابق. ومن ثم، فإن إقرار الإيمان الناتج عن هذا المجمع كان معبراً عن الرفض الواضح للآريوسية، ولكنه لم يكن رفضاً صريحاً للوحدانية الشكلانية.

وتنص النسخة الأصلية من إقرار الإيمان النيقاوي الذي صاغه مجمع نيقية فيما يتعلق بالله على ما يلي:

"نؤمن بإله واحد، الآب القدير، خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الآب، وهو مولود فقط (او وحيد)، أي أن له نفس طبيعة الآب. إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود، غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء مما في السماء وما على الأرض؛ الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد وأخذ طبيعة الإنسان، وتألم وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وأيضاً يأتي ليدين الأحياء والأموات. ونؤمن بالروح القدس. غير أن الكنيسة المقدسة و الرسولية تُحرِّم وتلعن الذين يقولون بأنه كان هناك وقت لم يكن فيه [يسوع المسيح] موجوداً، وأنه خُلق من أشياء غير موجودة، أو من شخص أو كائن آخر، قائلين بأن ابن الله

مُتغير أو متقلب".(٤١)

لا يوجد أي تصريح واضح عن الثالوث في هذا الإقرار، ولكنه يؤكد أن يسوع واحد مع الآب في الجوهر على النقيض من الآريوسية. كذلك لا توجد أية إشارة إلي الروح القدس كشخص مستقل في إطار الألوهية، ولكنه يعبر فقط عن الإيمان بالروح القدس. ويدل قانون الإيمان النيقاوي الأصلي على تمايز بين شخصية الآب وشخصية الابن، ويقر بأن الابن غير متغير وغير متقلب. وهذه العبارة الأخيرة تمثل تخلياً عن العقيدة الكتابية بشأن الابن وتأييداً للثالوثية الحديثة حيث أنها تُعَلِم عن أزلية الابن. ومن ثم، فإنه في الأساس يمثل مجمع نيقية ثلاثة أمور هامة: فهو رفض للآريوسية. كما أنه أول إعلان رسمي معارض للوحدانية الشكلانية، وكذا فهو أول إعلان رسمي يؤيد الثالوثية.

ما بعد مجمع نيقية

غير أن نصر الثالوثيين في مجمع نيقية لم يكن نصراً حاسماً. إذ كانت الستون سنة اللاحقة عبارة عن معركة متأرجحة بين أتباع آريوس وأتباع أثناسيوس. كما أن بعض المشاركين في مجمع نيقية مثل مارسيليوس Marcellus، أسقف أنقرة، اتجهوا إلى تأييد السابلينية Sabellianism (الوحدانية).(٤٢) كما بعث آريوس خطاباً إلى الإمبراطور قسطنطين لاستعطافه، مما جعل الإمبراطور يعاود فتح الموضوع. وتم عقد مجمع آخر في مدينة صور عام ٣٣٥م وبالفعل أبطل هذا المجمع العقيدة التي توصل إليها مجمع نيقية مؤيداً للآريوسية. وأُرسل أثناسيوس إلى المنفى، وكان من المقرر أن يعود آريوس إلى منصبه السابق كأسقف لولا أنه مات في الليلة السابقة لرجوعه.(٤٣)

وقد تعرض أثناسيوس للنفي حوالي خمس أو ست مرات خلال تلك الفترة. وكان معظم الصراع ناجماً عن ظروف سياسية. فعلى سبيل المثال، عندما حكم قسطنطيوس بن قسطنطين أعاد الآريوسية، وعزل الأساقفة من أتباع أثناسيوس وعين مكانهم أساقفة آريوسيين. وقد نتج عن هذا الخلاف صراع سياسي مرير علاوة على الكثير من سفك الدماء.

ويُرجع البروفسور هايك Heick الفضل في النجاح النهائي لأتباع أثناسيوس إلى فصاحة أثناسيوس ومثابرته، قائلاً: "إن العامل الحاسم وراء هذا النصر.... كان هو عزيمة وتصميم أثناسيوس في مواجهة الاضطهاد والقمع الذي استمر طوال حياته".(٤٤) غير أن النجاح النهائي لم يتحقق إلى أن انعقد المجمع المسكوني الثاني، والذي دعا إليه الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius والذي عُقد في القسطنطينية عام ٣٨١م، حيث تم حسم القضية نهائياً. وقد عُقد هذا المجمع بعد موت أثناسيوس، وصادق على إقرار الإيمان النيقوي. وقام بمعالجة قضية هامة أخرى، كانت قد احتدمت بعد مجمع نيقية، وهي تختص بعلاقة الروح القدس بالله. وهل الروح القدس شخص مستقل في الله أم لا؟ حيث اعتقد الكثيرون أن الروح القدس مجرد قوة، أو مخلوق، أو لعله كائن ملائكي. وقد أضاف هذا المجمع [مجمع القسطنطينية] إلى قانون الإيمان النيقاوي الأصلي عبارات تُعلِم أن الروح القدس شخص (أقنوم) مستقل مثل الآب والابن.

ولم تستطع عقيدة الثالوث بشكلها الحديث أن تحقق انتصاراً حاسماً، إلا عندما انعقد مجمع القسطنطينية في عام ٣٨١م. وكان هذا المجمع أول من أقر بوضوح أن الآب، والابن، والروح القدس هم ثلاثة أشخاص (أقانيم) مستقلون في الله، وهم متساوون، وأبديون، ولهم نفس الجوهر. وهكذا تم تعديل قانون الإيمان النيقاوي من خلال مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م. ولذلك فإن الشكل الحالي لقانون الإيمان النيقاوي، والذي ظهر حوالي عام ٥٠٠م له توجه ثالوثي أقوى من قانون الإيمان النيقاوي الأصلي.

كما كان هناك تهديد كبير آخر للتيار الذي يتبع أثناسيوس. فقد بدأت الإمبراطورية الرومانية في الانهيار تحت وطأة الهجمات البربرية، وكانت القبائل البربرية التي تتزايد سطوتها ونفوذها تتبع الآريوسية. ومن المحتمل أن الآريوسية كان باستطاعتها أن تُحقق انتصاراً خلال فترة الغزوات البربرية. غير أن هذا التهديد تلاشى في النهاية، عندما تحول الفرنكونيون إلى أتباع العقيدة التي ينادي

بها أثناسيوس في عام ٤٩٦م.

وخلال تلك الفترة، ظهر قانون إيمان هام آخر – وهو قانون الإيمان الخاص بأثناسيوس، ولكنه لم يُكتَب بواسطة أثناسيوس. بل لعله يمثل العقيدة الثالوثية الخاصة بأغسطينوس Augustine (٣٥٤-٤٣٠م)، حيث أنه تطور أثناء أو بعد الفترة التي عاش فيها أغسطينوس. ويعتبر قانون الإيمان هذا هو الأكثر شمولاً في تعبيره عن عقيدة التثليث في تاريخ الكنيسة القديمة. إلا أن الجزء الغربي فقط من العالم المسيحي هو الذي أقر به رسمياً.

أما عن نقاط الاختلاف الرئيسية بين الشرق والغرب حول عقيدة الثالوث فكانت كالآتي:

أولاً: يميل الشرق إلى التأكيد على ثالوثية الله. فمثلاً، بالنسبة للكبدوكيين كان الغموض الكبير يكمن في فهم كيف يكون الثلاثة أشخاص إلهاً واحداً. أما في الغرب فهناك تأكيد أكثر قليلاً علي وحدانية الله.

ثانياً: آمن الغرب بأن الروح القدس منبثق من الآب والابن (عقيدة الانبثاق من الابن the filioque docrrine)، بينما يؤمن الشرق بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط. و في النهاية أصبح هذا الاختلاف بمثابة قضية لاهوتية كبرى كانت السبب وراء الانشقاق بين الكنيسة الرومانيه الكاثوليكية والأرثوذكس الشرقيين في عام ١٠٥٤م.

قانون الإيمان الخاص بأثناسيوس

لكي نمنح القارئ رؤية أكثر اكتمالاً لعقيدة الثالوث، نقدم فيما يلي جزءاً من قانون الإيمان الخاص بأثناسيوس:

"الشخص الذي سيخلص: قبل كل شيء من الضروري أن يكون مُتمسكاً بالإيمان الجامع (الكاثوليكي). وكل شخص لا يتمسك بهذا الإيمان كاملاً وبلا نجاسة: بدون شك سوف يهلك للأبد. والإيمان الجامع هو: أننا نعبد إلها واحدا في ثالوث، وثالوث في اتحاد. لا التباس في الأشخاص: ولا انقسام في الجوهر. فهناك شخص واحد للأب، وشخص آخر للابن، وآخر للروح القدس. ولكن ألوهية الآب، وألوهية الابن، وألوهية الروح القدس، جميعها واحدة:

وجميعهم ذوو مجد متساو، وجميعهم ذوو جلال أبدي . ومثل الآب، كذلك الابن، والروح القدس: فالأب غير مخلوق، وكذلك الابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق. والآب لا يمكن إدراكه، وكذلك الابن لا يمكن إدراكه، والروح القدس لا يمكن إدراكه. والآب سرمدي، وكذلك الابن سرمدي، والروح القدس سرمدي. ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة آلهة سرمديين: بل إله سرمدي واحد. وبالمثل فليس هناك ثلاثة آلهة لا يمكن إدراكهم، ولا ثلاثة آلهة غير مخلوقين: بل يوجد إله واحد غير مخلوق، وإله واحد لا يمكن إدراكه. ومثلما أن الآب قدير، وكذلك الابن قدير، والروح القدس أيضا قدير. ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة آلهة قديرة : بل إله قدير واحد. ومن ثم فإن الآب هو الله، والابن هو الله، وكذلك الروح القدس هو الله.ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة آلهة: بل إله واحد. وبالمثل فالأب رب، والابن رب، والروح القدس رب. ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة أرباب: بل رب واحد. لأنه كما أننا مجبرون بواسطة الحقيقة المسيحية أن نعترف بكل شخص (أقنوم) بمفرده أنه هو الله والرب: هكذا نحن أيضاً تمنعنا العقيدة الجامعة من أن نقول إن هناك ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أرباب. فالأب كائن منذ الأزل: وهو غير مخلوق، وغير مولود. والابن من الآب وحده، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، ولكنه مولود. والروح القدس من الآب والابن، غير مصنوع، وغير مخلوق ولا مولود، ولكنه منبثق. وهكذا فهناك آب واحد، وليس ثلاثة، وابن واحد، وليس ثلاثة، وروح قدس واحد، وليس ثلاثة. وفي هذا الثالوث لا أحد يسبق الآخر، أو يأتي بعد الآخر: لا أحد أعظم من أو أقل من الآخر. ولكن الثلاثة أشخاص سرمديون، ومتساوون. وهكذا في كل شيء، وكما تقدم ذكره، فإن علينا أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث، وثالوث في واحد. ومن ثم فإن من يخلُص: يجب لذلك أن يفكر في الثالوث....''

قانون الإيمان الرسولي

نحتاج قبل أن ننهي هذا الفصل أن نجيب عن الأسئلة المتعلقة بما يسمى بقانون الإيمان الرسولي. هل الرسل هم من صاغوه؟ وهل يُعلم إقرار الإيمان هذا بعقيدة الثالوث؟ والإجابة عن هذين السؤالين هى لا. لقد كانت بدايات قانون الإيمان هذا في اعتراف إيمان آخر أكثر قدماً والذي كان يُستخدم في الكنيسة الرومانية. وكان يسمى إقرار الإيمان الروماني القديم. ويـُرجـِع العديد من العلماء إقرار الإيمان الروماني القديم إلى الفترة من عام ١٠٠م إلى عام ٢٠٠م. وهو يقول:

"أؤمن بالله الآب القدير. وبربنا يسوع المسيح، ابنه الوحيد، المولود من العذراء مريم بالروح القدس، والذي صـُلب في عهد بيلاطس البنطي، وقُبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء؛ وجلس عن يمين الآب، وأيضا يأتي ليدين الأحياء والأموات. وأؤمن بالروح القدس، وبمغفرة الخطايا؛ وقيامة الأجساد."

وقد تم تعديل قانون الإيمان هذا لكي يواجه تحدي القضايا العقائدية الجديدة، حتى بلغ أخيراً شكله الحالي قرب نهاية القرن الخامس الميلادي. وكانت أهم التعديلات هي الإضافات التي تؤكد ما يلي: أن الله خالق السماء الأرض، وأن يسوع قد حُمِلَ به بواسطة الروح القدس، وأن يسوع تألم ومات، ونزل إلى الجحيم (القبر)، والإيمان بالكنيسة المقدسة الكاثوليكية (الجامعة)، وبشركة القديسين، وبالحياة الأبدية.

وهناك أمران مهمان للغاية فيما يتعلق بالنسخة الأصلية والنسخة التي ظهرت فيما بعد:

الأمر الأول: أنه ليس بين هاتين النسختين أي واحدة لها صلة تاريخية مباشرة بالرسل ألاثني عشر. ومن ثم فإن هاتين النسختين ليست لهما صفة القداسة ولا الجداره بالثقة أكثر من أي كتابات أخرى من القرون القليلة الأولى التي أعقبت الرسل.

الأمر الثاني: أن هاتين النسختين لا تُعَلِمان بعقيدة الثالوث. بل في الجانب الأكبر منها نجدها تتبع اللغة الكتابية بأمانة. فهي تصف ابن الله فقط فيما يتعلق

بالتجسد، ولا تُلمِّح أبداً إلى أن الابن هو شخص مستقل في داخل الله، أو أن الابن أبدي. وهي تؤكد الإيمان بالروح القدس، ولكن ليس كشخص مستقل في الله. و بدلاً من ذلك فهي تدمج هذا التأكيد مع العبارات الأخرى المتعلقة بالخلاص، كل هذا يقودنا إلى الاعتقاد بأنها تتحدث عن عطية أو معمودية الروح القدس وعن عمل الروح القدس في الكنيسة. وهكذا، فليس هناك شيء غير مقبول في أسلوبها إذا عرَّفنا المصطلحات بنفس الطريقة التي يعرفها بها الكتاب المقدس.

غير أن الثالوثيين أعادوا تفسير قانون الإيمان الرسولي، زاعمين أنه يؤيد عقيدتهم. كما يستخدمها اليوم كل من الرومان الكاثوليك والبروتستانت ليعلنوا معتقدهم الثالوثي. وقد ربطوا بينها وبين الثالوثية لدرجة أن غير الثالوثيين لا يستخدمونها خوفاً من ان يسأ فهمهم.

ونحن لا نؤيد استخدام قانون الإيمان الرسولي للأسباب التالية:

(١) أنه ليس من انشاء عن الرسل كما قد يظهر من تسميته. ونحن لا نريد أن نوجد بين الناس انطباعاً مغلوطاً باستخدام هذا الاسم.

(٢) إنه لا يؤكد على كل الأفكار الأساسية المهمة في العهد الجديد، وخاصة بعض الجوانب التي من المهم تأكيدها اليوم في ضوء المعتقدات المغلوطة التي تطورت عبر القرون.

(٣) بدلاً من محاولة صياغة قانون إيمان يذكر بشكل جامع العقيدة في شكل مـُلزم، فإننا نفضل استخدام الكتاب المقدس نفسه من أجل الحصول على عبارات موجزة تعبر عن عقيدتنا.

(٤) إن استخدام هذا الإقرار اليوم سوف يربط بيننا وبين الاعتقاد الثالوثي. فمع أن الكُتّاب الذين صاغوا هذا الإقرار لم تكن عقيدة الثالوث في أذهانهم، إلا أن الغالبية العظمى من الناس العاديين اليوم يعتبرون انه إقرار إيمان ثالوثي. وبالتالي فلكي نتجنب أن يتم التوحيد بيننا من جهة وبين عقيدة التثليث والكنيسة الرومانيه الكاثوليكية من الجهة الأخرى، فإننا لا نستخدم قانون الإيمان الرسولي.

الخلاصة

ختاماً، فإننا نرى أن عقيدة التثليث غير كتابية سواء من ناحية المصطلحات المستخدمة فيها أو من ناحية أصولها التاريخية. كذا فإن جذورها تنبع من الفكر الذي يؤمن بتعددية الآلهة، والديانات والفلسفات الوثنية. كما أن عقيدة الثالوث نفسها لم توجد في تاريخ الكنيسة قبل القرن الثالث الميلادي. وحتى في ذلك الوقت، لم يقبل الثالوثيون الأوائل العديد من المعتقدات الثالوثية السائدة اليوم مثل مساواة وسرمدية الآب والابن. ولم تحقق الثالوثية السيادة على عقيدة الوحدانية حتى حوالي عام ٣٠٠م. كذلك فهي لم تحقق نصراً على الآريوسية حتى وقت متأخر من القرن الثالث.

وقد جاء الاعتراف الرسمي الأول بالعقائد الثالوثية في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، ولكن حتى هذا لم يكن كاملاً. ولم تؤسس العقيدة الثالوثية بشكل كامل حتى انعقد مجمع القسطنطينية في عام ٣٨١م. وباختصار، فإن معتقد التثليث لم يأخذ شكله الحالي حتى نهاية القرن الرابع، وإقرارات الإيمان الخاصه به لم تتخذ شكلها النهائي حتى القرن الخامس.

1- "Trinity, Holy," p. 295.
2- Van Harvey, A Handbook of Theological Terms (New York: MacMillan, 1964), p. 244.
3- Ibid; William Stevens, Doctrines of the Christian Religion (Nashville: Broadman, 1967), p. 119.
4- Harvey, p. 245.
5- Heick, I, 160; "Trinity," pp. 459-460.
6- "Trinity," p. 460.
7- Bloesch, I, 35.
8- Heick, I, 160; Stevens, p. 119; "Trinity, Holy," p. 295.
9- Harvey, p. 246. See also, "Trinity," p. 460.
10- Stevens, p. 119.
11- Webster's, p. 1686.
12- Heick, I, 161.
13- Harvey, p. 182.
14- Finis Dake, Dake's Annotated Reference Bible (Lawrenceville, Ga.: Dake's Bible Sales, 1963), NT, 280. Emphasis in original.
15- Jimmy Swaggart, "The Error of the 'Jesus Only' Doctrine," The Evangelist, April, 1981, p. 6. Emphasis in original.

16- Carl Brumback, God in Three Persons (Cleveland, Tenn.: Pathway Press, 1959), pp. 60-63.
17- Heick, I, 127.
18- Heick, I, 117-118.
19- "Trinity, Holy," pp. 295-305.
20- Emil Brunner, The Christian Doctrine of God (Philadelphia: Westminster Press, 1949), pp. 236-239.
21- "Trinity, Holy," pp. 295-305.
22- Alexander Hislop, The Two Babylons, 2nd ed. (Neptune, N.J.: Loizeaux Bras., 1959), pp. 16-19.
23- "Trinity," p. 458.
24- John Noss, Man's Religions, 5th ed. (New York: MacMillan, 1969), p. 202.
25- Ibid, p. 163.
26- Hislop, p. 18.
27- Noss, p. 268.
28- "Trinity," p. 458.
29- Heick, I, 107-110.
30- "Trinity, Holy," pp. 295-305.
31- Heick, I, 123-129.
32- Harvey, pp. 181-182.
33- Noss, p. 453.
34- Harvey, p. 123.
35- Tertullian, Against Praxeas, 3.
36- Heick, I, 112-123.
37- Durant, 111(1944), 653-664.
38- Nigg, p. 102.
39- Ibid, pp. 126-127.
40- Heick, I, 156.
41- Reinhold Seeburg, Textbook of the History of Doctrines, trans. Charles Hay (Grand Rapids: Baker, 1954), I, 216-217.
42- Klotsche, p. 67.
43- Roland Bainton, Early Christianity (Princeton, N.J.: Van Nostrand, 1960), pp. 68-70.
44- Heick, I, 157.
45- Ibid, I, 163.
46- See, Anne Fremantle, ed., A Treasury of Early Christianity (New York: Mentor Books, 1953); Seeburg, I, 240-243.
47- Heick, I, 88. See, Tim Dowley, et al., eds., Eerdman's Handbook to the History of the Church (Grand Rapids: Eerdmans, 1977), p. 145.